

تقرير

خليفه حرب
khalilharb66@gmail.com"ملاذ كرد اقتصادية" من حروب تركيا وتاريخها
إمتحان أردوغان: الليرة تترنح

لم تكن المرة الاولى تتراجع فيها قيمة الليرة التركية. لكنها المرة الاكثر قساوة خلال العقدين الماضيين، حيث فقدت اكثر من 40% من قيمتها خلال اشهر قليلة. منذ المحاولة الانقلابية قبل عامين، والاقتصاد التركي يترنح ما بين عوامل انهيار وعوامل قوة. فما هي حقائق المشهد التركي والتحدي الاخطر الذي يواجهه رجب طيب اردوغان؟



الرئيس التركي رجب طيب اردوغان وحراسه في ملابس من التاريخ.

بنى الرئيس التركي رجب طيب اردوغان الكثير من مجده السياسي منذ صعوده الى السلطة في العام 2003، وصولا الى انتخابه كأول رئيس للترك بالافتراع الشعبي المباشر في حزيران 2018، على النهوض الاقتصادي. لعل اهم انجازاته انه تمكن من مضاعفة متوسط دخل الفرد من ثلاثة الاف دولار (مسجل في العام 2001) الى 11 الف دولار حاليا، مع تعهدات حكومية بزيادته الى 25 الف دولار في حلول العام 2023. لطالما اعتبر كثيرون ان اردوغان لم يحقق في ملف السياسة الخارجية ما حققه في الملف الاقتصادي، بالنظر الى العديد من الازمات الاقليمية والسياسية التي تورطت انقرة فيها وجلبت اليها انتقادات. السلاح الامضى الذي سمح لاردوغان بالاستمرار في الحكم، لا بل باعادة صياغة النظام السياسي للحكم نحو الصيغة الرئاسية، كان ورقة الاقتصاد. ربما لهذا تحديدا، يتصرف اردوغان بهلع واضح لمواجهة ما يصفها بانها "حرب اقتصادية" تشن على بلاده. منذ الانقلاب الفاشل قبل عامين، بدأت الليرة التركية تهتز، ثم استقرت قليلا. ثم منذ ما قبل الانتخابات المبكرة في 24 حزيران 2018 راحت تتدهور مجددا، لكن ذروة سقوطها، جاءت مع تسلم سلطاته رسميا كأول رئيس منتخب في 9 تموز 2018. "انها الحرب" اعلنها اردوغان اكثر من

مرة، كمن يلوح بسيف القتال ليحشد الجيوش خلفه. انهيار الليرة بنسبة 40% من قيمتها منذ بداية العام الحالي كان مفاجئا الى درجة ان اردوغان، المتسلح بصلاحيات استثنائية كرئيس للجمهورية، ناشد الاتراك مرارا للخروج معه الى الحرب، الى بيع مكنزاتهم من الذهب والجواهر والدولار لشراء الليرة. ذهب ابعده من ذلك. في 26 آب 2018، في الذكرى السنوية لمعركة ملاذكرد مع البيزنطيين في العام 1071 وانتصار الدولة السلجوقية، وهو انتصار مهد لاحقا لقيام الدولة العثمانية وانتزاع القسطنطينية (اسطنبول لاحقا)، خرج اردوغان لشحن همم الاتراك، تماما كما فعل السلطان السلجوقي الب ارسلان قبل معركة التاريخية، قبل اقل من الف عام. كتب كثيرون عن تعثر احلام اردوغان الاقليمية تباعا. لكن ورقتي الاستقرار السياسي والنجاح الاقتصادي، وفرن الحماية الاهم له ولحزب العدالة والتنمية الحاكم منذ اكثر من 15 سنة. لهذا، فان محاولة الانقلاب الفاشلة في العام 2016، ثم ضرب الليرة في الصميم،



عملات تركية.

هزتا بعمق اطمئنان الرئيس في قصره المشيد وفق العمارة السلجوقية. عنونت مجلة "فورين بوليسي" الاميركية تقريرها لها "الحرب الاقتصادية الخاسرة لتركيا". ان كل من يراقب الليرة التركية التي راحت تتراجع من ليرتين في مقابل الدولار حتى العام 2014، ثم الى ثلاث ليرات مع وقوع محاولة الانقلاب في العام 2016، ثم الى اربع ليرات وصولا الى ست ليرات خلال الاسابيع الماضية، يدرك ان الخطر اكبر من مجرد ازمة عابرة. كثيرون يعتبرون ان المسألة وصلت فعليا

الى حد الكارثة، لكنها لن تكون بلا رجعة حتى الان، رغم ان ترنح الليرة بهذا الشكل يهدد بتبديد الودائع في المصارف، وقد يفجر موجة هائلة من الافلاس المدمرة.

تركيا في المرتبة العاشرة عالميا في حجم احتياطيها من الذهب

تحاول صحيفة "الغارديان" البريطانية اختصار القصة بالتركيز على مشهد لاف في اسطنبول. ناطحات السحاب التي ارتفعت على عجل خلال السنوات القليلة الماضية، جعلت بعض ضواحي المدينة، تبدو كأنها دبي او هونغ كونغ. هنا، ربما، يكمن سر الكارثة الاقتصادية.

في التدقيق في المشهد، يتبين ان العديد من ناطحات السحاب هذه، فارغة، او لم تكتمل، او بالكاد مسكونة في بعض شققها. الطفرة العمرانية هذه، والتي تتضمن ايضا العديد من "المولات" والمشاريع العملاقة بما فيها بناء مطار جديد هو الاكبر في العالم، كلها شيدت باموال مقترضة من المصارف وبفوائد صغيرة، ما جعل قطاع الاعمار يساهم بنحو 20% من نمو الناتج الاجمالي المحلي خلال السنوات القليلة الماضية.

للدلالة على طبيعة ما جرى، فان ناطحة السحاب المسماة "ياقوتة اسطنبول" من اكثر المباني ارتفاعا في اوربا. عندما استكملت، كانت بتحويل قروض قيمتها 164 مليون ليرة تركية في العام 2013، من بينها 154 مليون ليرة كانت بالدولار الاميركي. القرض الان، مع انهيار الليرة، اصبحت قيمته 539 مليون ليرة تركية. الارقام الحكومية تشير الى ان 90% من استثمار الشركات في القطاع العقاري

ارقام

الاورو واليوان

يقول خبراء ان عامل الثقة اساسي في دعم اداء اي عملة، ما يجعل اي ضربة خارجية كرسوم الرئيس الاميركي دونالد ترامب محدودة التأثير. الدليل على ذلك ما حصل للارو واليوان بعد فرض واشنطن قيودا جمركية جديدة. اذ لم تنهوا العملاتان مثلما جرى مع الليرة التركية. خلال ساعات قليلة فقط، بعد تغريدة لترامب، فقدت 18% من قيمتها.

تقدر ديون تركيا للمصارف الاجنبية بنحو 224 مليار دولار، وفقا لبيانات البنك الدولي للتسويات. يعتبر العديد من المستثمرين ان الاقتصاد التركي الذي يبلغ حجمه 900 مليار دولار، كان يتجه بالفعل نحو الهاوية حتى قبل القرار الاميركي بمضاعفة الرسوم على صادرات تركيا، ويشيرون الى تضخم جامح بلغ 15%. يشير مصرف "جي بي مورغان" الى ان حجم الدين الخارجي التركي الذي سيستحق خلال

الاشهر الـ 12 المقبلة، يصل الى نحو 179 مليار دولار، اي ما يعادل نحو ربع الناتج الاقتصادي للبلاد. معظم الدين (نحو 146 مليار دولار) مستحق على القطاع الخاص ولاسيما المصارف. فيما تواصل الليرة التركية تسجيل مستويات قياسية منخفضة، تحقق الصادرات والسياحة إيرادات كبيرة. الصادرات التركية سجلت في تموز 2018 مستوى قياسيا، اذ بلغت نحو 14.1 مليار دولار، وذلك بنسبة 11.8%.

اما السياحة، فقد حقق القطاع زيادة بنسبة 30%، ومن المتوقع ان تصل إيرادات تركيا من السياحة في نهاية العام الى نحو 32 مليار دولار، مع دخول 40 مليون سائح. دخل الى تركيا خلال الشهر الستة الاول من هذه السنة نحو 19 مليون شخص، 16 مليون اجنبي و3 ملايين تركي يعيشون في الخارج، بزيادة بلغت 29% عن الفترة نفسها من العام 2017، وفقا لما نقلته "اسوشيتد برس" عن بيانات حكومية.



بني اردوغان الكثير من مجده على النهوض الاقتصادي.

ومواطنيها. فالعلاقات بين واشنطن وانقرة متأزمة، ويتفاقم التوتر بين تركيا العضو في حلف "الناتو" وبين الأميركيين الذين يرفضون تسليم الداعية الاسلامي فتح الله غولين، في حين تنظر واشنطن مع برية كبيرة الى تقارب اردوغان مع الروس والاييرانيين. تصطدم المصالح والاولويات في الحرب السورية، فيتأخر تسليم اسلحة اميركية الى تركيا، وتفرض عقوبات اميركية على وزراء اترك.

لأنها حرب اقتصادية، ولأنه مسكون كثيرا بالتاريخ العثماني، يجد اردوغان كل الاعذار المشروعة ليتحرك بعيدا من الهزيمة في "ملاذكرد الليرة" نحو المانيا وفرنسا اللتين ترفضان حرب جنون الرسوم التجارية التي يخوضها ترامب نحو روسيا في السياسة والاقتصاد والغاز، ونحو قطر التي وعدت الاقتصاد التركي بـ15 مليار دولار من الاستثمارات، والاهم نحو الاترك انفسهم، لنصرتة في معركة حياة او موت.

المسكون بطموحات كبرى، وهو اجس كثيرة، خصوصا منذ محاولة الانقلاب الفاشلة ضده، يقول ان شعبه لا يخشى الرصاص والدبابات... والدولار. لكن ذلك يعني ان تركيا صارت طرفا في "الحروب التجارية" التي يخوضها ترامب حتى ضد اقرب حلفائه، وهي حالة لا تبدد القلق الذي ينتاب اسواقها

ترامب: الليرة التركية تنهار امام دولارنا القوي جدا

اردوغان يدرك ان التحدي الاقتصادي ليس معركة سهلة

النصف الاول من العام 2018 - مقارنة بالفترة ذاتها من العام الماضي - الى ارتفاع الواردات التركية بنسبة 13.5% محققة 122.9 مليار دولار في مقابل ارتفاع للصادرات بنسبة 6.3% محققة 82.2 مليار دولار فقط. اي ان هناك عجزا في الميزان التجاري يبلغ 40.7%.

لكن ما يعزز نظرية المؤامرة التي يتبناها اردوغان، ان الرئيس الاميركي دونالد ترامب وهو يفرض عقوبات اقتصادية على انقرة، اعلن صراحة عبر "تويتتر": "اصدرت امرا بمضاعفة رسوم الصلب والالومينيوم على تركيا، في وقت تنهار فيه الليرة امام دولارنا القوي جدا"، مشيرا الى ان الضريبة على الالومينيوم سترتفع 20%، بينما سترتفع على الصلب 50%.

ترامب يقولها صراحة بأنه يريد النيل من الليرة التركية. صحيح ان انقرة ردت على مضاعفة الرسوم الجمركية برفع الرسوم على الواردات الاميركية من التبغ والكحول والسيارات. الا ان اردوغان

ضد اردوغان قبل عامين، وتبعها فرض عقوبات اميركية من بينها زيادة الرسوم على واردات الصلب والالومينيوم من تركيا، حتى ترنحت الليرة كأنها بلا اساس.

مشهد ناطحات السحاب المهجورة، مع انهيار عائدات الاترك المصرفية بالليرة، اثار موجات من الهلع في الاسواق والكثير من الضغط الاضافي على العملة الوطنية. الطفرة العمرانية بلغت ذروتها في عامي 2013 و2014، وظن كثيرون انها من علامات القوة، وكانت المصارف تقدم تسهيلات مصرفية كبيرة لقطاع الاعمار. كما يشار الى ان 69 ناطحة سحاب (اعلى من 100 متر) شيدت في اسطنبول وحدها. المشاريع العملاقة الاخرى كانت تستفيد ايضا من هذه التسهيلات. المطار الجديد خصصت له قروض بقيمة 5.7 مليارات اورو في العام 2015 وكانت تعادل وقتها 18 مليار ليرة تركية، واصبحت الان تعادل 40 مليار ليرة.

الهوة ما بين 18 مليار ليرة و40 مليار ليرة في مشروع واحد، كبيرة. قس على ذلك الاف المشاريع التي استندت الى قروض مصرفية من اجل انشائها. ليس حدثا عابرا في بلد يحتل اقتصاده المرتبة 14 عالميا، ان تهوي عملته 40% خلال اشهر، حتى وان كان هذا البلد يحتل المرتبة العاشرة عالميا في حجم احتياطه من الذهب (565 طنا).

بمعنى ما، الفقاعة التركية هذه تقول ان الذهب لا يوفر لوحده الحماية لعملتك الوطنية. هذا نذير شؤم للعديد من الدول القريبة والبعيدة. ربما تكون الصين وحدها بين دول العالم التي تتباهى بانخفاض قيمة عملتها امام الدولار الاميركي، ذلك انها تتسلح بسلاح صادراتها الذي لا مثيل له من القوة والهيمنة في العالم.

اما تركيا فهي ليست الصين، و اردوغان يدرك ان التحدي الاقتصادي امامه ليس معركة سهلة. تشير الارقام خلال

الحكومية. لكن ذلك لم يوفر حماية كافية لليرة التركية. اذ ما ان اندلع خلاف دبلوماسي بين انقرة وواشنطن حول القس الاميركي اندرو برونسون، المحتجز بتهمة التورط في المحاولة الانقلابية

شبح اردوغان الهمم كما فعله السلطان الب ارسلان قبل الف عام



من اسواق اسطنبول.

في نهاية العام 2016، جاءت من قروض بالعملة الاجنبية. هناك نحو 800 الف شقة جديدة لم يتم بيعها. هبستريا الاعمار منذ العام 2001 تسببت الان في العجز المقدر بنحو 50 مليار دولار، وربما اكثر. اذ ان استيراد مواد البناء وحدها بالدولار الاميركي تجاوز حجم الصادرات التركية باشواط. من المهم ملاحظة ان تركيا هي الدولة التاسعة عالميا في استيراد الحديد.

الاقتصاد التركي البالغ حجمه 880 مليار دولار حقق نموا سنويا وصل الى 6.8% خلال العقد الحالي. هذه احد ملامح القوة التي يتباهى بها مؤيدو السياسات

الليرة في التاريخ

تعود اقدم عملة ورقية اصدرتها تركيا الى العهد الجمهوري لسنة 1927 ولكنها طبعت بالحروف العثمانية، ومن ثم طبعت من جديد بالحروف اللاتينية الحديثة في العام 1937. كانت حينها من فئة 5 ليرات. هكذا بدأ تاريخ العملة الورقية التركية منذ 84 سنة.

في بداية الالفية الثانية، اضطرت تركيا الى اجراء تعديلات على عملتها بعد النمو الاقتصادي الكبير الذي شهدته البلاد، ولجل ذلك صدر قانون تنظيم العملة في 28 كانون الثاني 2004، وجرى بعدها حذف 6 اصفار من العملة في الاول من كانون الثاني 2005 ليبدأ الجيل الثامن من النقود التركية.

بعد حذف ستة اصفار من العملة اكتسبت الليرة استقرارها قبل ان تعصف بها الاضطرابات في مطلع العام 2018.